كيف يخلق الخيال النقدي نصًا شبحيًا؟
الدراسة النظرية والنموذج التطبيقي
ممدوح رزق
منشورات
الناقد

كيف يخلق الخيال النقدي نصًا شبحيًا؟

ممدوح رزق

دراسة

منشورات الناقد 2024

صورة الغلاف: Mamdouh Rizk

الممارسات الرقمية والنص المُرجأ

"لقد ولد الأدب الرقمي في فلك السيبرنطيقا" ...

هكذا يحدد فيليب بوطز الأمر بداية في الفصل الأول من كتابه "الأدب الرقمي"، ترجمة محمد أسليم، والمنشور في مجلة "علامات" المغربية، المجلد 2011، العدد 35 (30 يونيو/ حزيران 2011).

السيبرنطيقا (أو علم التحكم) كما ورد في هوامش الفصل المترجم، حقل متعدد التخصصات، ابتكره وينر نوربرت، ويدرس الأنظمة المنظمة ذاتيًا ليس من خلال مكوناتها، ولكن من خلال تفاعلاتها، حيث لا يُنظر سوى لسلوكها الشمولي. يُسمى أيضًا "علم التشابهات المتحكم فيها بين الأجساد والآلات". ويشكل هذا العلم أحد مصادر الأدب الرقمي، حيث لا يتردد البعض في تسميته بـ "الأدب السيبرنطيقي".

هل يمكن للفكر النقدي أن يتخيّل "يوثّق" نصًا "سرديًا مثلًا" لم يُكتب بعد، ويستند في "افتراضه" على "ممارسات رقمية" تبدو ظاهريًا "غير نصّية بالمعنى الأدبي" أي تستعمل الوسيط المعلوماتي، أو الأداة التي تعتمد عليها هذه الممارسات ليس في نقلها بصورة مرئية وحسب وإنما في تكوينها وتحوّلها أيضًا؟

أتحدث عن "الميديا" الشخصية، العفوية، الارتجالية التي يتم إنتاجها وتبادلها كـ "كتابة"، "صوت"، "صورة" بين "كاتب" و"آخر" في إطار ما يبدو أنه محض استعمال ذاتي، اتصال حسي تقليدي بين شخصين في مكانين متباعدين .. على أي شيء يرتكز الفكر النقدي في تخيّل وتوثيق هذا النص "المحتمل"؟

صورة الكاتب وتاريخها: النصوص المنشورة ـ ما كُتب عن أعماله السابقة ـ حياته الخاصة (مشتملة الماضي) كما يُظهرها بنفسه وكما يشير إليها الآخرون أو يتناولونها أو يكشفون عن صلاتهم بها عبر الوسائل المختلفة ـ ما يتداول عنه من "أسرار" إما في شكل "معلومات" أو "أكاذيب" أو "أقاويل".

توظيف الوسائط: استخدام معطيات انتقائية من صورة الكاتب وتاريخها عبر العالم الافتراضي في خلق تصوّر لماهية "الآخر" الذي يشارك الكاتب في هذه الممارسة الرقمية ـ نسج علاقات متعددة بين هذه المعطيات لتشكيل طبيعة التفاعل بين الكاتب وشريك أو شركاء الممارسة الرقمية ـ تعيين الأدوات الملائمة لكل تمثل خيالي ناجم عن هذا التواصل / الصراع المفترض بحسب خصائص كل أداة وكيفية تفاعلها مع الأدوات الأخرى.

يُعرّف فيليب بوطز في الفصل الأول "الموّلِّد" على النحو التالي: "يُسمى البرنامج بالموّلِّد عندما يبني في زمن واقعي، أي أثناء تنفيذه، ميديا أو أكثر (نص، صوت، صورة ...) تُقترح للقراءة. ومن ثمّ فالمولد هو مجموعة خاصة من الخوارزمات".

في هذه الحالة يعمل الفكر النقدي كـ "موَلِّد" استباقي، خفي، غير حاضر إلا بما ينتجه من فائض غير محكوم لتصورات (النص، الصوت، الصورة) المقترحة للقراءة. التمثلات دائمة التغير والتبدل، ليس بناءً على "الخيال" الذي أسس لها فحسب، وإنما على الوسائط التي استخدمها في تغييب حدودها أيضًا. كأن الفكر النقدي يتخذ موضع "التفاعلية المتقدمة" أي أنه يبدأ في صنع تأثير للنص السردي من قبل أن يكون لهذا النص وجود أصلي، وبالتالي تصبح "إعادة الكتابة" التي يؤديها القارئ هي لحظة كتابة أصلية بالمعني الفعلي لا المجازي.

تحت عنوان "كلية الحضور والتغذية الراجعة" كتب فيليب بوطز: "يمكن للنتيجة التي يُنتجها البرنامج أن تظهر متزامنة في عدة أجهزة كمبيوتر، كما هو الحال في الأعمال الموجودة على شبكة الإنترنت، ومن ثمة إذا ما أتاحت التفاعلية للقراء أن يتواصلوا فيما بينهم عبر عمل أدبي، فإنهم يقومون بذلك بحيث كلما تدخل أحدهم إلا وعدّل نسق العلامات التي يقرؤها الآخرون، ومن ثمة تحصل (تغذية راجعة) لنشاط القراءة على العمل؛ قراءة شخص واحد تعدّل العمل الذي سيتلقاه القراء الموالون".

ماذا لو أن هذا "العمل الأدبي" غير متجسّد حتى الآن، وإنما لا يزال خيالًا نقديًا في صورة رؤى، أحلام، إيماءات، استفهامات، شذرات متأرجحة من الاحتمالات الفرضيات؟ سيصبح هذا النص أشبه بخام نص كل قارئ، يُكتب بشكل مستمر، لا

نهاية للتدخل في بنائه وتعديله، ولا حد لمساهمة الآخرين في تكوينه، أي أنه سيبقى مُرجئًا دائمًا.

إن اندماج القارئ مع الممارسات الرقمية للنص الخيالي الذي يقدمه الفكر النقدي فضلًا عن استعمال الوسائط ذاتها في كتابته لهذا النص يعني تجاوزًا للحظة تصوّر الكيفية التي خُلق بها .. يعني التورط في شخوص هذا النص، حيواتهم وأجسادهم ولغتهم وصمتهم وتواريخهم وعلاقاتهم وأسرارهم .. يعني كتابة نصوصهم السابقة كما لو كانوا طوال الوقت غافلين عن أنفسهم .. كما لو كان الواقع طوال الوقت غافلًا عن نفسه.

كيف يخلق الخيال النقدي نصًا شبحيًا؟

"1"

لنعزل الأمر ـ مؤقتًا ـ عن الأقاويل حول الكتّاب في الوسط الأدبي وحيواتهم الخاصة وعلاقاتهم السيبرية والواقعية، ونتأمل الفكرة في ضوء الاستفهام المطروح بمقالي "الممارسات الرقمية والنص المُرجأ" والذي يعد مدخلًا لهذه الدراسة:

"هل يمكن للفكر النقدي أن يتخيّل "يوثّق" نصًا "سرديًا مثلًا" لم يُكتب بعد، ويستند في "افتراضه" على "ممارسات رقمية" تبدو ظاهريًا "غير نصّية بالمعنى الأدبي" أي تستعمل الوسيط المعلوماتي، أو الأداة التي تعتمد عليها هذه الممارسات ليس في نقلها بصورة مرئية وحسب وإنما في تكوينها وتحوّلها أيضًا؟". "1"

إن الخيال النقدي في تشريحه لهذه الممارسات من أجل أن يخلق "نصًا شبحيًا"؛ يطارد شكًلا غير تقليدي من الأصالة الفنية التي كان يبحث عنها السرياليون في أعمالهم .. يكشف عن جذور وأساسيات الصراع المحتملة لهذا النص من قبل أن تتشكل بصماتها كبنية "أدبية" .. يحرر الإلهامات والتوترات المفترضة من "الممارسة" نفسها دون استبعادها لكي تتحوّل إلى إشارات وبراهين على نص يناوش "كتابته" .. ذلك لا يخاتل ما هو قيمي أو أخلاقي فقط، وإنما ما هو لغوي بالضرورة؛ فالتحديات التي تبناها السرياليون في أعمالهم اعتمدت على تقويض الأعراف وخصوصًا معايير وقواعد اللغة، وما ينقب عنه الفكر النقدي على هذا النحو هو لذة "استباق" تلك الخلخلة .. الهدم المتقدم على التكوين النصي للحقائق والمعتقدات .. انتزاع الخيال كـ "خامة" تعبيرية مغوية من قلب الاشتباك الرقمي أو الواقعي لتعيينه كمدى كتابي منفلت من الصياغة، ويحوم حولها في الوقت ذاته .. التلصص على اقترافات اللاوعي الممكن استعمالها كطيش فني ينتهك الأطر الاجتماعية والمحظور الثقافي:

"ومثلما كُتب في أدبياتهم "فيما يتعلق بتحرير اللغة، سعت السريالية إلى هدفها. تكتسب اللغة معاني خاصة في هذا النشاط الذي لا يقتصر على مراعاة الـ 'كلام'

فحسب، بل يشمل أيضًا الإملاء الحر للاوعي. في قاع كل تطور، نلمس الرغبة مرة أخرى ودائمًا منذ حركتها الأولى. إنها الهدف النهائي لكل بحث وسعي وتجربة، كنقطة انطلاق بين الخيال والواقع، حيث تظهر في النشاط الإبداعي حدود متنوعة. أي السعي والمحاولة التي يمكنها الوصول إلى القيم المطرودة بشدة من قبل الرقابة الصارمة للعقل والنظم، وتجعلها قابلة للفهم". "2"

يتجاوز الخيال النقدي بهذه الكيفية التوقعات الجمالية المرتبطة بأنماط الذاكرة النصية لدى أفراد الممارسة، أي تخطي ما يمكن النظر إليه كتصورات اعتيادية ناجمة عن كتاباتهم وتأثيراتهم القرائية، وكأن هذا الخيال يقتفي أثر "سيرة ذاتية" مخبوءة لذلك الكاتب الذي ربما لم يراود ذهنه أي احتمال لوجودها بينما يبدّل من أماكن حضوره الجسدي حول الشاشة .. يقوده نحو الرؤى المستترة في صدوع رغباته، وخارج الحكم العقلاني والمنضبط لكلماته الخاصة .. يرشده إلى العثور على كوابيسه التي لم يحلم بها قط .. ذلك ما ينجزه نص لم يُكتب بعد .. نص شبحي.

إن ذلك يمثل فك أسر المعنى من قبل حدوث "الكتابة" .. ما يعادل تفحص التفكير غير المقيّد الذي يسبق إحدى لحظات الكتابة التلقائية عند السرياليين كما كانت تستهدف ألعابهم اللغوية الابتكارية .. ما يتيحه الخيال النقدي كأفق لا محكوم للتشارك النصي حينما يجعل "الممارسة" نوعًا من "تبادل الكتابة" بين أفرادها ـ وهو غرض سريالي جوهري ـ فضلًا عن انفتاح ذلك الأفق دون حد لمن خارج تلك الممارسة كي يصبح عنصرًا لها، أي "يكتبها" استنادًا إلى الهواجس والتجليات النقدية التي وثقتها .. بهذا يمكن تأمل العلاقة بين دور الوسيط المعلوماتي في تكوين وتحوّل النص "الشبحي" الذي خُلق نقديًا، وبين الانحياز التفكيكي الذي يقف وراء الكتابة الأوتوماتيكية عند السرياليين، ولعل تناول د. سعيد يقطين للنص الإلكتروني في كتابه "من النص إلى النص المترابط" يشير إلى هذه العلاقة:

"ينطلق لاندو من اجتهادات رولان بارث وديريدا وفوكو وباختين، ويرى وكأنهم كانوا يتحدثون عن النص الإلكتروني في تنظيراتهم للنص: فبارث على سبيل المثال تحدث عن النص المثالي، وعن الشذرات وبين أن النص شبكة متعددة، وأنه نسق

بلا نهاية ولا مركز، ونفس الشيء يراه بالنسبة للقارئ الذي صار منتجًا للنص، ولم يبق مستهلكًا فقط. كما أن ديريدا تحدث كثيرًا في أعماله عن الشبكة، والروابط، والنسيج وانفتاح النص،،، وكل هذه المميزات، وسواها مما نجدها في كتاباتهم، سمات مركزية في النص الإلكتروني". "3"

وكما كتبت في مقالي "الممارسات الرقمية والنص المرجأ " إن اندماج القارئ مع الممارسات الرقمية للنص الخيالي الذي يقدمه الفكر النقدي فضلًا عن استعمال الوسائط ذاتها في كتابته لهذا النص يعني تجاوزًا للحظة تصوّر الكيفية التي خُلق بها .. يعني التورط في شخوص هذا النص، حيواتهم وأجسادهم ولغتهم وصمتهم وتواريخهم وعلاقاتهم وأسرارهم .. يعني كتابة نصوصهم السابقة كما لو كانوا طوال الوقت غافلين عن أنفسهم .. كما لو كان الواقع طوال الوقت غافلًا عن نفسه".

وهذا ما تؤكده أيضًا د. أماني أبو رحمة في دراستها "النص والوسائط التشعبية: التحقيق الفعلي للنظرية النقدية ما بعد البنيوية":

"عندما يعرّف ديفيد بولتر النص التشعبي على أنه كتابة تفكيك ذاتي تعارض المعيارية والتوحيد بالإضافة إلى التسلسل الهرمي فهو يربط بطريقة ما النص التشعبي مع "النص المثالي" وفكرة التفكيكية. يعتبر النص التشعبي نصًا مثاليًا لأنه ليس له بداية ونهاية، ويمكن عكسه، كما أن لديه العديد من الروابط والمداخل وهو مفكك ذاتيًا. بالنسبة لبولتر فإن النص التشعبي وسيط جديد يمنح الحرية الكاملة للقراء الموضوعيين والمحايدين حيث لا يمكنهم فقط اختيار تسلسل النص ولكن يمكنهم أيضًا إجراء إضافات وتعديلات عليه. ويرى أن النص التشعبي لا يقدم المزاعم الإمبريالية على فهم القارئ مثل النص المطبوع الأكثر صلابة. تسمح غرابة وجدة واختلاف النص التشعبي بإلغاء مركز العديد من افتراضات ثقافتنا حول القراءة والكتابة والتأليف والإبداع". "4"

وكما أشرت أيضًا في المقال التمهيدي لهذه الدراسة "الممارسات الرقمية والنص المرجأ" فإنني مثلما "أتحدث عن "الميديا" الشخصية، العفوية، الارتجالية التي يتم إنتاجها وتبادلها كـ "كتابة"، "صوت"، "صورة" بين "كاتب" و"آخر" في إطار ما

يبدو أنه محض استعمال ذاتي، اتصال حسي تقليدي بين شخصين في مكانين متباعدين "؛ فإنني أتحدث أيضًا عن ما يمتد بالضرورة إلى الواقع "خارج الشاشة"، وما لا يشترط أن يكون "نصًا إلكترونيًا"؛ ذلك لأن "النص الشبحي" كـ "عمل أدبي" غير متجسد، "لا يزال خيالًا نقديًا في صورة رؤى، أحلام، إيماءات، استفهامات، شذرات متأرجحة من الاحتمالات والفرضيات" هو "أشبه بخام نص كل قارئ، يُكتب بشكل مستمر، لا نهاية للتدخل في بنائه وتعديله، ولا حد لمساهمة الآخرين في تكوينه، أي أنه سيبقى مُرجئًا دائمًا"، يحوّل "القراءة الثقافية التناصية" التي تناولها الناقد معجب العدواني في كتابه "القراءة التناصية الثقافية" "5"، والتي تهدف إلى "بناء سياقات واسعة للدراسة الأدبية، والتركيز على الأبعاد التاريخية والثقافية للنصوص والقضايا مثل العنصرية، والجندر، والإثنية، والطبقة، في علاقتها بالمنتج الثقافي"؛ يحوّلها إلى قراءة "إبداعية" بالمعنى الحرفي / التوثيقي، "خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة" كما يجيب بول ريكور على سؤال "ما هو النص؟ " "6" أي تُظهر وتوظف "الكتابة المضمرة" في "الخطاب"؛ ذلك لأن عملها "التناصي" يبدأ كعتبة مراوغة لـ "الكتابة"، تجهيز أوّلي من "المساحات الثقافية المتقاطعة والمتحاورة" لنص لا يفرض طريقة محددة لكتابته، غير أنه يُبدي ـ بحكم شبحيته ـ طبيعة غامضة، شاحبة، ومتشظية، تميل ـ خاصة في ارتكازها على الممارسات الرقمية ـ إلى التمثل بواسطة النص الإلكتروني الذي يتسق مع حضورها الإبهامي والمتناثر، دون التغاضي عن الأشكال النصية الأخرى التي بمقدورها اللعب بتلك الأشلاء وفقًا لأدواتها وتكنيكاتها الخاصة.

"في هذه الحالة يعمل الفكر النقدي كـ "موَلِّد" استباقي، خفي، غير حاضر إلا بما ينتجه من فائض غير محكوم لتصورات (النص، الصوت، الصورة) المقترحة للقراءة. التمثلات دائمة التغير والتبدل، ليس بناءً على "الخيال" الذي أسس لها فحسب، وإنما على الوسائط التي استخدمها في تغييب حدودها أيضًا. كأن الفكر النقدي يتخذ موضع "التفاعلية المتقدمة" أي أنه يبدأ في صنع تأثير للنص السردي من قبل أن يكون لهذا النص وجود أصلي، وبالتالي تصبح "إعادة الكتابة" التي يؤديها القارئ هي لحظة كتابة أصلية بالمعني الفعلي لا المجازي"."7"

يعيد الفكر النقدي بذلك تعريف "التداولية" بدفعها لأن تسبق ما يتم تصنيفه كـ "نص أدبي" بخطوة؛ فإذا كانت الدراسات النقدية الحديثة كما تشير راضية خفيف بو بكري في بحثها "التداولية وتحليل الخطاب الأدبي" "8"؛ "تجعل من اللغة الأدبية نظامًا معقدًا للاتصال، يجاوز مستويات الصياغة اللفظية والنصية إلى دراسة الحدث الأدبي انطلاقًا من دائرة الاتصال الاجتماعي، أي الانتقال باللغة الأدبية من مستوى النص كنظام إلى مستوى التواصل"؛ فإن النص الشبحي يرسم ملامح الاتصال مسبقًا حينما يجعل ما هو تداولي بالأصل (لغة الممارسة التي لم تستوعب أدبيتها بعد) هو الفاعل التحريضي لكتابة في سبيلها للتحقق كـ (حدث أدبي)، أي أن "اللغة الأدبية" لم تعد نتيجة تواصلية وحسب وإنما أصبح "التواصل" نفسه نظامًا أدبيًا مبدئيًا للنص أيضًا.

يجيب كذلك مقالي "الممارسات الرقمية والنص المرجأ" على سؤال: "على أي شيء يرتكز الفكر النقدي في تخيّل وتوثيق هذا النص "المحتمل"؟:

"صورة الكاتب وتاريخها: النصوص المنشورة ـ ما كُتب عن أعماله السابقة ـ حياته الخاصة (مشتملة الماضي) كما يُظهرها بنفسه وكما يشير إليها الآخرون أو يتناولونها أو يكشفون عن صلاتهم بها عبر الوسائل المختلفة ـ ما يتداول عنه من "أسرار" إما في شكل "معلومات" أو "أكاذيب" أو "أقاويل".

توظيف الوسائط: استخدام معطيات انتقائية من صورة الكاتب وتاريخها عبر العالم الافتراضي في خلق تصوّر لماهية "الآخر" الذي يشارك الكاتب في هذه الممارسة الرقمية ـ نسج علاقات متعددة بين هذه المعطيات لتشكيل طبيعة التفاعل بين الكاتب وشريك أو شركاء الممارسة الرقمية ـ تعيين الأدوات الملائمة لكل تمثل خيالي ناجم عن هذا التواصل / الصراع المفترض بحسب خصائص كل أداة وكيفية تفاعلها مع الأدوات الأخرى".

إن النص الشبحي بهذه الطريقة يتعدى "الصدق والكذب" في "الأقاويل"؛ حيث يشيّد احتمالًا مستقلًا، فنيًا، يستند بصورة كاشفة إلى "طبيعة الكلام" التي تجعل بُعد الصدق أشد أساسية من بُعد الكذب كما تذكر الفيلسوفة والمحللة النفسية السلوفينية

أليكا زوبانجج في دراستها "الكذب على أريكة التحليل النفسي"، وبالتالي فإن لهذا الاحتمال "الفني" الذي يخلقه الخيال النقدي "صدقه الخاص"، باعتباره ـ أي الاحتمال ـ أرضية الصدق الملهمة التي يحتاج أي "كذب مفترض" ليقوم عليها، وذلك تحديدًا ما يجعل النص الشبحي يتجاوز التوقعات الجمالية المرتبطة بأنماط الذاكرة النصية لدى أفراد الممارسة:

"الصدق والكذب ليسا متكافئين لأن بُعد الصدق أشد أساسية من بُعد الكذب: لا لسبب لاهوتي أو أخلاقي وإنما بسبب طبيعة الكلام نفسها. فلا يمكن أن يوجد كلام (سواء كان حقًا أو باطلًا) غير مموضع في بُعد الصدق. دعوني أستشهد بجاك ألان مليير الذي عبّر عن المقصود هنا بأوجز ما يكون: يوجد بلا شك صدق ليس سوى نقيضًا للكذب، لكن يوجد صدق يحفظ الاثنين، الصدق والكذب، ويحملهما، مرتبط بالتكلم نفسه؛ لأنه لا يمكن للمرء أن يقول أي شيء من دون أن يطرحه كصدق، كحق. وحتى عندما أقول: "أنا أكذب،" فإن ما أقوله حينها في واقع الأمر هو: "الحق أقول لكم، أنا أكذب" ـ ولهذا، الصدق ليس نقيض الكذب. أو يمكننا أن نقول، مرة أخرى، إنه يوجد صدقان: الأول وهو نقيض الكذب، والثاني هو ما يحمل الصدق والكذب كليهما على حد السواء".[9]"

حينما يخلق الخيال النقدي "نصًا شبحيًا" فإنه يجمع هكذا بين الحلين اللذين اقترحهما د. محمد مشبال في مقاله "كيف ننقذ دراسة الأدب؟":

"ـ الحل الأول هو ممارسة نقد إبداعي؛ حيث يعمد الناقد المبدع إلى خلق خطابه "النقدي" بناءً على تفاعله مع الأعمال الأدبية التي قرأها وأوحت له بفكرة يعمل على نسجها بناء على استدعاء ذخيرته من النصوص المخزنة في ذاكرته. وبناءً أيضًا على تنشيط خياله. هذا الضرب من النقد تجده في كتابات طه حسين وعبد الفتاح كيليطو عن الأدب القديم. وهما الناقدان العربيان اللذان أثبتا حضورهما عند القارئ العام غير المتخصص.

ـ الحل الثاني هو ممارسة نقد متعدد الاختصاصات أو عابر للحقول المعرفية؛ فغير مجد في عصرنا هذا ممارسة نقد شكلاني أو بنيوي أو أسلوبي أو بلاغي خالص. لا

يروم سوى إعادة إنتاج النظرية أو المفاهيم التي تهم فئة ضيقة من المتخصصين. وتنطوي هذه الدعوة إلى نقد منفتح على فكرة خروج الممارسة النقدية الأدبية من دائرة التخصص الضيق الذي فرضته نظرية الأدب بمناهجها المختلفة، إلى الأفق الرحب لنقد يحاور الأعمال الأدبية من منظور القضايا التي تهم الإنسان في وجوده بهذا العالم".”10”

الهوامش:

1- الممارسات الرقمية والنص المُرجأ / ممدوح رزق - منصة "مقال كلاود"، 26 سبتمبر 2023.

2- السرياليون ومفهوم الشعر: "يجب أن يُكتب من قبل الجميع" / حميد عقبي - ضفة ثالثة، 30 أغسطس 2023.

3- من النص إلى النص المترابط / د. سعيد يقطين - المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 2005.

4- ما بعد الانترنت: الفن في عصور بعد ما بعد الحداثية / د. أماني أبو رحمة - مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر 2022.

5- القراءة التناصية الثقافية / معجب العدواني - المركز الثقافي للكتاب 2019.

6- الممارسات الرقمية والنص المُرجأ / ممدوح رزق - مصدر سابق.

7- النص والتأويل / بول ريكور، ترجمة: منصف عبد الحق - مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد الثالث، 1988.

8- التداولية وتحليل الخطاب الأدبي "مقاربة نظرية" / راضية خفيف بو بكري - مجلة "الموقف الأدبي"، العدد 399، يوليو 2004.

9- الكذب على أريكة التحليل النفسي / ألينكا زوبانجج، ترجمة: طارق عثمان

https://www.academia.edu/105919599/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B0%D8%A8_%D8%B9%D9%84%D9%89_%D8%A3%D8%B1%D9%8A%D9%83%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%84%D9%8A%D9%84_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A

10- كيف ننقذ دراسة الأدب؟ / د. محمد مشبال ـ مجلة "الثقافة الجديدة"، العدد 396، سبتمبر 2023.

"2"

النموذج التطبيقي

صورة فوتوغرافية لكاتب مع نسخة من روايته "الفشل في النوم مع السيدة نون" .. كلمات أسفل الصورة عن أن حياة الشاعرة أو "البطلة المزعومة" للرواية لم تكن سوى يد سردية من الأكاذيب والمبالغات، خلقها الكاتب كي تعاون أيديه الأخرى في هرش خصيتيه مقاومة للضجر الذي يلازمه دائمًا .. ما هي الكلمات الأصلية المحتملة التي تبادلها الكاتب في الواقع على الماسنجر مع تلك الشاعرة قبل أن يحوّلها إلى "أكاذيب ومبالغات"؟ .. كاقتفاء خائن لأثر ذلك النص في كتاب "وهم الحضور"؛ هل كان يمكن أن تتحوّل هذه الكلمات إلى "كتابة أخرى" لا تشعر معها تلك الشاعرة بالتوتر ـ كما أخبرت الكاتب في رسالتها له عن الرواية ـ ومن ثمّ لا ترتكب نتيجة لذلك أية حماقات مضحكة؟

"بدأت الحوارات في التكوّن بيننا على الانترنت، كانت قليلة لأنها لم تكن تفتح الماسنجر كثيراً، وفي نفس الوقت كانت أحاديثنا غالباً قصيرة، وليست متعمقة بما فيه الكفاية .. كلام عام عن حياتها، وبيتها، والجامعة، وعن مصر، والشعر، وأصدقائها الذين أعرفهم، وذكرياتها معهم".

بهذه الكيفية كانت الحياة "نصًا أدبيًا" عند نيتشه .. أثرًا غير مستقل لإنكار الحقيقة .. كانت اللغة اليومية فنًا، ممارسة فلسفية، أسلوبًا للمخاطرة .. "سأجعل من نفسي سيرة للاستكشاف" .. الغضب الغريزي .. إحراق السماء .. لهاث الكتابة .. رعشة المراوغة .. الاندفاعات المحمومة .. الانتقام من الطمأنينة .. غرابة النشوة .. الأورجازم اللغوي .. خرافة الإثم .. استرداد البكاء الطفولي .. السخرية من "الرهان" .. إهانة قاطع الطرق الأعظم.

أنت لم تبصر كل العفاريت التي خرجت منك وأنت عارٍ في ميدان مزدحم .. العفاريت لن تكون هي نفسها حين ترتد إلى داخلك ثانية بعد تعذيبها .. حسنًا .. لتواصل وطء تفاصيل ومشاهد وأسرار الازدحام كي تعثر على المزيد من كوابيسك .. لتمعن مخاتلة كل كابوس في قتلك.

كيف يمكنك اللعب استباقيًا ـ تفكيك النظام بتعبير دريدا ـ وعلى نحو متعمّد بإشارات التناقض في الموضوع الإيروسي؟ .. الفجوات والهوامش تكتب الرواية دون مواراة .. تحويل الانتهاك إلى بداهة .. تخريب ساطع للإزاحات .. استمتاع بالتهكم على الأوهام الأخلاقية التي تحاصر الكتابة .. استمتاع بالتهكم على استثمار الأوهام الأخلاقية الذي سيحتدم بعد قراءة الرواية .. ثمة صدى جدير بالاستعادة: يعتبر الناقد والأكاديمي العراقي د. نجم عبد الله كاظم "الفشل في النوم مع السيدة نون" من الروايات التي اخترقت المحظور الجنسي والمسكوت عنه بغرض التعبير عن الموقف وبنضج وتبرير موضوعي وفكري، حتى وهي لا تتوقف في تعاملها مع الجنس عند حدود، أو حتى لو كان الجنس هو بحد ذاته مادة الرواية وموضوعها، وذلك ضمن دراسته عن المتغيرات والتجديد في الرواية العربية المعاصرة .. "ربما يمكن للطفل في طفولته، وبواسطة مناظر، وأحداث كهذه أن يبني ما يمكن أن يُعد أصولاً، أو جذوراً للعب .. يمكنه أن يكتسب بصراً سرياً، يجعله يدرك أن الجنس هو أكثر المشاهد التي كلما أخذت راحتك في التبديل بين تفاصيلها كلما كان ذلك أكثر استجابة لإرادتها الجوهرية".

قصيدة لشاعرة اسمها "قراءة الماضي" تكتب على الماسنجر لـ "الفشل في النوم مع السيدة نون": "لا أعرف لماذا أكتب لك هذا .. ربما أردت أن ترى توتري فحسب" .. "الفشل في النوم مع السيدة نون" يصمت .. كاتبة اسمها "أن تتناولك رواية أو هل تراني فعلًا بهذه الطريقة؟" ترسل عبر مدونة "قراءات" ردًا إلى "قراءة الماضي" ..

الرد الذي يبدو ـ رغم سعادتها به ـ لم يعوضها عن الرد الذي لم تتلقاه من "الفشل في النوم مع السيدة نون" .. "الفشل في النوم مع السيدة نون" يقابل "قراءات" صدفة على مائدة "الرواية والفانتازيا" .. "مصافحة سريعة وابتسامة خاطفة ثم اختفاء فوري" .. "الفشل في النوم مع السيدة نون" يكتب "نصوص متحركة".

تحلم الرواية بالشاعرة والروائي الشاب الميت، فقط .. "(الشخصيات) تتوقف عن أن تكون (حقيقية) في الكتابة مهما بلغ وضوح ملامحها الحقيقية" .. الحلم يجعل الشخصيات أكثر واقعية مما تبدو عليه .. الواقع الثأري لكاتب الرواية .. "قررت تحويل الكتابة إلى حياة انتقامية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى" .. ليس الثأر من "الشخصيات الحقيقية"، وإنما من "السياق" .. التاريخ كما يدعي الحدوث .. كما كان يُحتمل أن يحدث .. "لم تعد لدي حياة كي أعيشها" .. انتقام من كل تخيُّل، فقط.

مقاطع من "الفشل في النوم مع السيدة نون" بصوت الكاتبة الفلسطينية سحر أبو ليل في برنامجها الإذاعي على ساوند كلاود .. مقاطع ماجنة تُقرأ بصوت رقيق وأداء شاعري وعلى نغمات موسيقى ناعمة .. صوت لا يعرف كاتب الرواية .. صوت غير متأكد من أن "الفشل في النوم مع السيدة نون" تدعم صورة واقعية لكاتبها أم لا .. صوت نقيض "الصداقة" .. مضاد لليقين .. ما يحتاجه بشكل حاسم ودون إمكانية للتفاوض هؤلاء "الذين رأوه متعيّنًا في الحياة، وجلسوا وتحدثوا معه ذات يوم أو في كثير من الأيام .. الذين حينما ينتهون من قراءة رواية كهذه سوف يبتسمون بالثقة اللازمة لطمأنتهم على سلامة وعيهم بالموت، وهم يرددون في أذهانهم، وبين بعضهم البعض: ليس هناك شك في أنه هو، ويدرك نفسه جيدًا مثلما ندركه" .. تصل نسخة من "الفشل في النوم مع السيدة نون" إلى "صديق" فتكون تلك هي اللحظة الأخيرة في علاقته الشخصية بكاتبها .. كأن الرواية هي الفرصة الثمينة التي خلقها الكاتب عمدًا كي يتخلص من "أصدقائه" .. قطيعة مقصودة تستبق "الاستجابات القاصرة" التي لا يجب إهدار أي شيء في مواجهتها .. "لأننا رأيناك، وتحدثنا معك،

وكنا "أصدقاءً"؛ فإن الاحتمالات تتضاءل للالتفات إلى غير ما نعتقد أننا نعرفه حقًا عنك .. لن نبصر في صفحات الرواية ما يتجاوز التأكيدات على حقيقتك المتداولة في الواقع، ربما بعكس لو لم نصادفك أبدًا من قبل .. لن نفكر في وجوهك الأخرى المغايرة أو المناقضة لذلك الوجه الذي اعتدناه، ولمسنا تطابقه مع ما رسمته أنت نفسك بالكتابة .. لن نتساءل عما وراء غياب الخجل والحذر والانضباط في "الفشل في النوم مع السيدة نون" مقابل حضور العدائية والطيش والمبالغة، كالتي تناولت بها شخصية تلك "الشاعرة" مثلًا" .. كأنها الفرصة الثمينة التي خلقها الكاتب عمدًا كي يهزأ من هؤلاء الذين لن ينتبهوا إلى ما يشبه plot twist في الرواية، أو جرس تنبيه للتمعّن في "الوجوه المتعددة":

"لي صديق كاتب قصص قصيرة اسمه (ممدوح رزق)، حينما أخبرته بالأمر أعد لي هدية فرحت بها كثيراً يا دكتور .. كانت عبارة عن مزاوجة بين القصة الأولى في اليوم السابع من (الديكاميرون) لـ (جيوفاني بوكاشيو)، وقصة (المدرسة الداخلية) لـ (أنابيس نن) من مجموعة (دلتا فينوس)".

الفصام الجامح في الرواية إعلان ملكية الكاتب لأشباحه، يماثل إعلان رولان بارت ملكيته لجسده حين قام الأطباء بإزالة قطعة من ضلعه ثم أعادوها له ملفوفة في شاش طبي صغير .. تكتب ماري جيل في "رولان بارت (بديل الحياة)":

"هل نرى في هذا النص رمزًا للكتابة، من البعد السيري للكتابة شاملة؟ ما هي الكتابة إن لم تكن حفر المرء لجسده ونشره على شكل قطع وإعطائه للكلاب الرعوية. إن النشر هو تحويل اللحم إلى طعام إلى قطع، حيث يحصل القارئ على العظام لمضغها.

الكتابة لبارت تضع جسدك في المحور، تفهم حرفيًا حقيقة أنك تكتب بجسدك. هذا المقطع يفسر الكليشيهات البارتية: كتابة الجسم، القطعة نفسها هي استعارة كجزء من الكناية في العمل. نرى أن ما يكتبه بارت عن الجسد هو العظام. ما هي هذه العظام؟ هي قطعة من الذات منفصلة ومتلائمة ستسمح لبارت أن يصبح مالكًا لنفسه.

إن نزع قطعة من الجسد، أو النزع التدريجي للجسد، في الدرج، هو استنساخ خيالي لعملية الانفصال في الكتابة، والموت من موت المؤلف من آثاره، وهناك ما يشير إلى ولادة".

حفر الذات ونشر قطعها في "الفشل في النوم مع السيدة نون" هو مضغ لعظام الكلاب الرعوية التي تقف تحت نافذة الكاتب انتظارًا لما سينتزعه من جسده ويلقيه لهم .. كأن انفصاله عن جسده سيجعله مالكًا بالضرورة لأشباح قرائه .. لخيبات الغرباء التي يلهو بها "المريض والطبيب" عبر صفحات الرواية (في زمن ما بعد علم النفس) .. النزع التدريجي للجسد هو استنساخ خيالي للألوهة التي انتُزعت من الكاتب من قبل أن يمتلك عظامًا.

ممدوح رزق

كاتب وناقد مصري

ولد في (المنصورة) 1977

رئيس تحرير مجلة "الناقد" الثقافية

ترجمت نصوصه إلى الإنجليزية والفرنسية والإسبانية.

يقوم بتدريس القصة القصيرة في ورشته للكتابة الإبداعية.

شارك في تحكيم العديد من جوائز القصة القصيرة.

شارك في العديد من الملفات الثقافية بالصحافة العربية.

تولى تحرير العديد من الأقسام الأدبية والثقافية في صحف ومجلات مصرية وعربية.

ألقى العديد من المحاضرات حول الكتابة والنقد الأدبي بمؤتمرات ومراكز ثقافية مختلفة.

ينشر ترجماته في المطبوعات الثقافية العربية.

ينشر قراءة نقدية شهرية بجريدة "أخبار الأدب" المصرية.

اختيرت قراءاته وأبحاثه النقدية كمصادر للعديد من الدراسات الأكاديمية .

كُتبت العديد من الدراسات والقراءات النقدية عن أعماله.

اختيرت قصته القصيرة "اللعب بالفقاعات" ضمن المجموعة القصصية "أصوات معاصرة" لدارسي اللغة العربية (طلاب المستوى المتقدم)، غير الناطقين بها، كنموذج للقصة العربية المعاصرة والصادرة عن مطبعة جامعة جورج تاون الأمريكية 2023

اختير كتابه "هل تؤمن بالأشباح؟" عن كلاسيكيات القصة القصيرة كمرجع دراسي لطلاب قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الأقصى 2022

تمت الاستعانة بأعماله القصصية كنماذج تطبيقية في بحث .نوعية الحياة وعلاقتها بالإبداع الأدبي في ضوء العوامل الكبرى للشخصية (دراسة مقارنة بين الريف والحضر) والذي حصل به الكاتب المسرحي عماد مطاوع على درجة الماجستير في علم النفس البيئي . من كلية الدراسات العليا والبحوث البيئية بجامعة عين شمس عام 2021.

رشحت دار الحضارة روايته "الفشل في النوم مع السيدة نون" للجائزة العالمية للرواية العربية "البوكر" 2014

ينشر نصوصه ودراساته في الأدب والفلسفة والسينما والتحليل النفسي والمسرح والفن التشكيلي والتاريخ الثقافي في العديد من الصحف والمجلات والدوريات والملاحق والمواقع الأدبية.

عضو شبكة آمون للباحثين في الأدب والسينما.

اختير الشخصية العامة لمحافظة الدقهلية بمؤتمر أدباء مصر في الأقاليم 2019.

تم تكريمه بمهرجان "أيام بلقاس الثقافية" 2019.

كتب:

.كل ما خفي عنك / مجموعة شعرية . دار عرب للنشر والتوزيع 2024

. الشكل العادي للجنون ... ويوميات أخرى / يوميات . دار ميتا للنشر والتوزيع 2024

. اقتناص الوهم البصري في القصة القصيرة / مقرر ونصوص ورشة الكاتب ممدوح رزق . دار عرب للنشر والتوزيع 2024

. بانتومايم / قصص قصيرة . دار ميتا للنشر والتوزيع 2024

. شعرية التناثر / قراءات في القصيدة العربية . دار عرب للنشر والتوزيع 2024

. وهم الحضور / مذكرات الكادر الضال "الجزء الأول" . دار ميتا للنشر والتوزيع 2023

. انشطار الحكايات العابرة / قراءات في القصة القصيرة العربية . دار عرب للنشر والتوزيع 2023

. الشرط التراجيدي / مقرر ورشة الناقد ممدوح رزق . دار ميتا للنشر والتوزيع 2023

. أرسم رواية أبي / قصة للأطفال . دار عرب للنشر والتوزيع 2023

. قانون اللعبة / مسرحية . دار ميتا للنشر والتوزيع 2023

. فيكتوريا تشانغ "مختارات شعرية" / ترجمة . دار عرب للنشر والتوزيع 2022

. الشر عاريًا / دراسة مقارنة بين يانيس ريتسوس ورينيه ماغريت . دار ميتا للنشر والتوزيع 2022

. سماء القبو / قصص قصيرة . دار عرب للنشر والتوزيع 2022

. دكتور باركمان ومستر ويبستر "كيف نقل ستيفنسون القضية من بوسطن إلى لندن" / دراسة نقدية . مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع بالعراق 2022

. لوسيل كليفتون "مختارات شعرية" / ترجمة . دار ميتا للنشر والتوزيع 2022

. وصية كلنكسر / نص الحِداد الأزلي . دار عرب للنشر والتوزيع 2022

. الغفلة والإدراك / مدخل تفكيكي لفلسفة شوبنهاور . دار ميتا للنشر والتوزيع 2021

. أحلام اللعنة العائلية / متوالية قصصية . دار عرب للنشر والتوزيع 2021

. مكائد القص / مقرر ورشة الكاتب ممدوح رزق . دار ميتا للنشر والتوزيع 2021

. راي آرمانتروت "مختارات شعرية" / ترجمة . دار عرب للنشر والتوزيع 2021

. قراءات في الرواية العربية . دار ميتا للنشر والتوزيع 2021

. قشرة الطلاء الصغيرة / مسرحيات في فصل واحد . دار عرب للنشر والتوزيع 2021

. استراقات الكتابة . دار ميتا للنشر والتوزيع 2021

. كتمثال يحدّق في حائط / مجموعة شعرية . دار عرب للنشر والتوزيع 2021

. مطاردة الغياب / قراءات نقدية . دار ميتا للنشر والتوزيع 2021

. مقتل نجمك المفضّل / نوفيلا . دار عرب للنشر والتوزيع 2021

. ولقلبي سواده الفاتن / قصص قصيرة . مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع بالعراق 2021

. نقد استجابة القارئ العربي / مقدمة في جينالوجيا التأويل . دار ميتا للنشر والتوزيع 2019

. المطر في كارمينا بورانا / قصص قصيرة . دار ميتا للنشر والتوزيع 2019

. تشارلز بوكوفسكي .. ما وراء اللعنة، وقراءات نقدية أخرى . دار عرب للنشر والتوزيع 2019

. جرثومة بو / نوفيلا . دار عرب للنشر والتوزيع 2018

. إثر حادث أليم / رواية . الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة إبداعات قصصية) 2017

. خيال التأويل / قراءات نقدية . مؤسسة نور نشر الألمانية 2017

. هل تؤمن بالأشباح؟ / قراءات في كلاسيكيات القصة القصيرة . دار ميتا للنشر والتوزيع 2017

. هفوات صغيرة لمغيّر العالم / قصص قصيرة . منشورات بتانة 2017

. خيانة الأثر / الدراسة الفائزة بجائزة المقال النقدي بالمسابقة المركزية للهيئة العامة لقصور الثقافة 2016 . دار ميتا للنشر والتوزيع 2016

. عتبات المحو / مقالات في النقد التطبيقي . دار عرب للنشر والتوزيع 2016

. دون أن يصل إلى الأورجازم الأخير / قصص قصيرة . مؤسسة المعبر للثقافة والإعلام 2015

. بعد صراع طويل مع المرض / شعر . دار عرب للنشر والتوزيع 2015

. فأر يحتفل بخطاب الحقيقة / مسرحية . دار عرب للنشر والتوزيع 2015

. الفشل في النوم مع السيدة نون/ رواية . دار الحضارة للنشر 2014

. مكان جيد لسلحفاة محنطة / مجموعة قصصية . سلسلة حروف (الهيئة العامة لقصور الثقافة) 2013

. الخبراء في الحياة / مسرحية من فصل واحد . دار ميتا للنشر والتوزيع 2013

. عداء النص / مقالات نقدية . دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني 2013

. صندوق الذكريات / مجموعة قصصية للأطفال . دار عرب للنشر والتوزيع 2013

. خلق الموتى / رواية . سلسلة إبداع الحرية 2012

. قبل القيامة بقليل / مجموعة قصصية . دار عرب للنشروالتوزيع 2011

. سوبر ماريو / رواية . دار ميتا للنشر والتوزيع 2010

. بعد كل إغماءة ناقصة / نصوص . دار المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات 2009

. السيء في الأمر / نصوص . دار أكتب للنشر والتوزيع 2008

. رعشة أصابعه .. روح دعابة لم تكن كافية لتصديق مزحة / نصوص . مكتبة معابر الإلكترونية 2004

. جسد باتجاه نافذة مغلقة / مجموعة قصصية . سلسلة أدب الجماهير 2001

. احتقان / مجموعة قصصية . سلسلة إبداعات (الهيئة العامة لقصور الثقافة) 2001

. انفلات مصاحب لأشياء بعيدة / مجموعة قصصية . مطبوعات إقليم شرق الدلتا (الهيئة العامة لقصور الثقافة) 1998

كتب مشتركة:

. كتاب "أوكسجين" الثاني . محترف أوكسجين للنشر 2023

. كتاب "أوكسجين" الأول . محترف أوكسجين للنشر 2022

. موسوعة القصة العربية المعاصرة بالإسبانية / ترجمة: حسين نهابة . مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع 2022

. يوم واحد من العزلة / مجموعة قصص قصيرة جدًا مع كتّاب عرب . دار فراديس للنشر والتوزيع 2013

. الكاتب وتحديات اللحظة الراهنة / دراسات مؤتمر اليوم الواحد لاتحاد الكتّاب مع نقاد مصريين 2012

. النمو بطريقة طبيعية / مجموعة قصصية مع كتّاب مصريين . دار ملامح للنشر 2009

. العامية كنز الإبداع / دراسات الملتقى الثاني للمّة بيت العامية المصرية مع نقاد مصريين 2009

. ملامح وعرة / ديوان شعر مع الشاعرين السوري (عبدالوهاب عزاوي)، والعراقي (صلاح حسن) . اتحاد كتّاب الانترنت العرب 2005

أفلام:

. قصة فيلم (مكان في الزمن) / روائي قصير . إخراج: نواف الجناحي 2019/ عُرض في مهرجانات دولية عديدة وفاز بجائزة لجنة التحكيم بمهرجان الداخلية السينمائي الدولي في عُمان 2022، وجائزة النخلة الذهبية للفيلم الخليجي الروائي القصير بمهرجان أفلام السعودية 2023

. قصة وسيناريو فيلم (إخفاء العالم) / روائي قصير . فناني أفلام اسكندرية المستقلة / إخراج: محمد صبري 2012

. سيناريو فيلم (من أجندة الخيانة) / روائي قصير . بالاشتراك مع المخرجة الإماراتية (منال بن عمرو) / مجموعة دبي للأفلام . إخراج: منال بن عمرو 2008 / شارك بمهرجان الخليج السينمائي 2008

. كتابة وإخراج فيلم (بازل) / موبايل . شارك بمهرجان القاهرة لأفلام الموبايل 2008

جوائز:

. جائزة مؤسسة ناجي نعمان الأدبية بلبنان تكريمًا عن الأعمال الكاملة 2022

. جائزة المسابقة المركزية للهيئة العامة لقصور الثقافة عن المقال النقدي (خيانة الأثر) 2016

. القائمة القصيرة لجائزة (ساويرس) في القصة القصيرة عن مجموعة (مكان جيد لسلحفاة محنطة) 2015

. جائزة اتحاد كتّاب مصر عن قصة (دخول المرآة) 2014

. جائزة نادي القصة عن قصة (إنقاذ جيروم) 2013

. جائزة رابطة الأدباء العرب عن قصة (التخلص من الذباب) 2013

. جائزة (أحمد بوزفور) المغربية في القصة القصيرة عن قصة (إنقاذ جيروم) 2013

. جائزة شبكة المنصورة الإخبارية في القصة القصيرة عن قصة (الثقب الذي لا يعنينا في الساحر الطيب) 2012

. جائزة دار ملامح للنشر في القصة القصيرة عن قصة (النمو بطريقة طبيعية) 2008

. جائزة ملتقى مدد في الشعر عن نص (نار هادئة) 2007

. جائزة منتدى جريدة شروق الإعلامي الأدبي في القصة القصيرة عن قصة (بلا أدنى خجل) 2006